گفتار پژوهشی (به زبان عربی)

العلاقات الثقافية بين الايرانيين والعرب منذ القِدم

دکتر عبدالمهدی یادگاری

عضو هیأت علمی دانشگاه تهران (بازنشسته)

۱ـ أُلقی هذا الخطاب فی المرکز الدّولی للحوار بین الحضارات، فی طهران، باللغة الفارسیة؛ والیک نقلها الی العربیّة فی نشرة کلیّة الآداب والعلوم الانسانیّة بجامعة یزد.

۲ـ معلّم الانسان الأوّل:

انّ‌الله تبارک و تعالی، «خَلَقَ الانسان، و عَلَّمهُ البیان[۱]» و هو اوّلُ استاذٍ للبشر، فهو الذی «علّم آدم الاسماءَ کلّها»[۲]؛ و هو الذی «علَّم الانسانَ مالم یَعلم»[۳]؛ لیس نطقاً و قولاً و بیاناً و حَسبُ، بَل و علَّمه تعلیماً علمیّاً أیضاً، و ذلک عندما قَتَلَ قابیلُ هابیلَ أخاه، و لم یدر ما علیه أن یفعل بجثمانِ أخیه القتیل، «فبعث اللهُ غرابا یَبحثُ فی‌الارض لیریَه (أی یُعلّمه) کیف یواری سوءَةَ أخیه (أی جُثَّةَ اخیه)...»[۴] کأنّ الغرابَ کانَ فی فعلَتِه هذه ترجماناً عملیّاً للبیانِ والتعلیم البیانیّ.

و انَّ‌الله تعالی خلق الانسان فقال: انّا خلقناکم مِن ذکرٍ و أنثی، و جعلناکم شعوباً و قبائل لتعارفوا...[۵].

و فرَّق ألسنتهم: «... و من آیاتِهِ خَلقُ السماوات والارضِ، واختلافُ ألسنتکم وألوانکم ...»[۶]؛ ولکن هناک کلمةٌ هامَّةٌ بالغة فی‌الآیة السابقة، و هی «... لتعارفوا...» والتعرُّف

۱- القرآن الکریم، سورة الرّحمان، الایة ۴.
۲- القرآن الکریم، سورة البقرة، الآیة ۳۱
۳- القرآن‌الکریم، سورة العَلَق، الآیة ۵.
۴- القرآن الکریم، سورةالمائدة، الآیة ۳۱.
۵- القرآن الکریم، سوره الحجرات، الآیة ۱۳.
۶- القرآن الکریم، سوره الرّوم، الآیة ۲۲.

والتعارف يحتاج الى فهم لغةٍ و معرفةِ بيانٍ؛ و فَهم اللُّغَةِ يحتاج الٰى تعليم و تعلُّم، و دراسةٍ و ممارسةٍ؛ ففى مجال كتفاعلِ الثقافيِ اللغويِّ، نقول:

التفاعل الثقافىّ اللغوىّ

انّ ثقافة الامم فمفاتحها اللغة التى هى أُمُّ الثقافة، و أُسُّها الاساس؛ اذلولاها لما عَرَفَ انسان انساناً، و لما تعرّفَ انسان علٰى انسان، و تأثير التبادل الثقافىّ يعود الى مقدار التفاهم اللغوىّ؛ و بما أنّنا - هنا - فى مجال بيان التفاعل اللغوىّ بين الفارسيّة و العربيّة، لذلك نكتفى بذكرِ وجيز ممّا حَدَثَ بين هاتين اللغتين، العريقتين، من التفاعُل والتَّبادل الذى وَحَّدَ السَّبيل لتنمية هذه الثقافة الواسعة، والحضارة الاسلاميّة المتَنامية، و علىٰ الله نتوكَّل.

بَلَغَ العُلٰى بكماله كَشَفَ الدُّجىٰ بجماله حَسُنَت جميعُ خصاله صَلُّوا عليهِ و آله

و من هذينِ البَيتينِ، أنطلِقُ، و أبدَأُ الكلامَ، فأقولُ: مَن قال هذينِ البيتين؟ العربيَّينَ الفصيحين البليغينَ، و فى مُنتَهى الفصاحة و البلاغة؟ هل قالها أعرابىٌّ بدوىٌّ فى قلب الجزيرة العربيَّة، أوقالهما ايرانىّ، فارسىٌّ (مِن مقاطعهِ فارسَ)، شيرازى يجاور شعبَ بَوَّانَ، يُدعىٰ سعدالدّينِ الشيرازىَّ؟

فَلَوقيل: قالهما البَدَوِىُّ؛ دَلَّ على عَدَمِ اطِّلاع القائِلِ؛ ولوقيلَ: قالهما سعدى الشيرازىُّ يَنطَرِحُ سؤالٌ آخَرُ؛ و هو: هَل يَستطيعُ انسانٌ أنَ يتكلَّمَ بلَغَةٍ غيرِ لغةِ أُمِّهِ و يقرأَ، و يكتُبَ و يتحاورَ و يُنشِدَ...؟ و كيفَ يكونُ ذلك؟

الجواب مَكمونٌ فى دَورالتعليمِ والتعلُّم، و هذا يَتِمُّ بِطُرُقٍ شَتَّى، و ان كانت النتيجةُ واحدَةً كما قال الشاعرُ: «عباراتُنا شَتَّى وَ حُسنُكِ وَاحِدُ»!

فالاختلاط فى العِشرةِ والمعاشَرَةِ، بمثابَة مدرسةٍ يتعلَّمُ فيه الانسانُ اللُّغَةَ؛ و طُرُقُ الاختلاطِ مختلفة:

- الاطفالُ يَلعَبونَ فى الشَارع، و هُم مِن أجناسٍ مختَلفة، يتعلَّمُ بَعضُهم مِن بَعضِهِم الآخر.
- الجيرانُ يتبادلونَ التحيَّةَ اَوّلاً، ثُمَّ التَّعارفَ، ثمَّ الأحاديثَ ... و هكذا
- الاحبابُ يتبادَلونَ الحُبَّ بالاشاراتِ أوّلاً، ثمَّ بالهَمس، ثم يَتَعَلَّمونَ لغةَ بَعضِهِم.
- و سُكّانُ الحدودِ، يتعاطونَ التجارةَ، و يَجرى التبادُلُ، و مِنهُ اللُّغَوىُّ، وَ يَتِمُّ التعليمُ

والتعلُّمُ

- والازواجُ مِن جنسينِ، يتكلَّمونَ أوّلاً بلغةٍ تنبَعِثُ عن القلبِ! ثمَّ يَتَعلَّمونَ لغة بَعضِهِم، و يتكلّمونَ عن طريق اللِّسانِ

السُّومريون

أمّا التَّفاعُلُ اللُّغَوِيُّ بينَ الفُرس والعَرَبِ، و أعنى اللُّغَتينِ الفارسيّةِ والعربيّةِ وَ أَخَواتِهم السَّاميّات، فَقديمٌ قِدَم التاريخ، و قد ذهب بعضُهُم الىٰ أَنَّ السومريّينَ نَزَحوا من الجانبِ الشرقيّ للعراق، و قيلَ من شوش، و قَطَنُوا جنوبَ العراقِ[۱]؛ و بَنَوا مدينةً دُعيَت تاريخيّاً أوراً، و تعنى المدينه[۲]؛ وَ هُم حينَ قدموا حملوا معهم المُعطياتِ الثقافيّة والحضارت مِن موطنهم الاصليّ[۳].

- والثقافةُ والحضارةُ مترابطتان ببَعضِهما؛ واللُّغَةُ والادبُ مِن أَهَمِّ عناصِرِ الثّقافةِ؛ ولعلَّ الاَحرُفَ الثقيلةَ فى اللَّهجةِ العراقيَّةِ اليومَ، و هى (پ) الباءُ المثلَّثةِ، و (چ)، و (گ) كالجيم المصريّة جاءَت مَعَ السومرّيين، ومازالت؛ اذ نَجِدُهم يقولون: «پَهلوان» به معنى البطل؛ و «پنكَهَ» بمعنى المَروحَة؛ و «پُتَيته» بمعنى البَطاطا؛ تُلْفَظُ بالباء الثقيلَةِ؛ و يقولون «چان ما چان» و «چَلاوى» بمعنى الكُليتَين؛ و «چَبَدة» بمعنى الكبد؛ و «متچاسه» بمعنى قدَحَ صغير؛ تُلفظ بالجيم الثقيلة؛ و كذلك «گال» بَدَلاً عن قالَ؛ و «الگوم» بدلاً عن القوم؛ و «گيوه» بمعنى الكالَوش؛ و «گام» بدلاً عن قام؛ تُلفظ بالكاف الثقيله.

و خيرُ دليل عَلى ما أقوله هو تسمِيَةُ، أوتلَقيبُ رؤساءِ المُدُنِ السومريَّة بِـ«پاتسى»؛ Patessi؛ و اسمُ پاتسىٍّ سومرىّ «دونگى» Dongi؛ و تسميةُ معبدِ سُومرَ بـ«زيگورات»؛ Zigurat؛ و اسمُ سَلالةٍ سومريّة «لاگاش» Lagash؛ و هناك معبدٌ سومرىٌّ اسم «نين گيرسو»؛ Ningirso؛ شيَّده «گودن» السَّومَرىُّ؛ و مِن مدن سومَر «نيپور» Nipour؛ و

۱- يرى بعضهم: أن السّومريين جاءوا مِن نواحيى ماوراء قفقاز: أنظر موسوعة مدن العالم الكبرى، ۵۶۴، عن عبدالحسين سعيديان بالفارسيّة ۵۱؛ ويل دورانت: تاريخ الحضارة فى الشرقِ الادنى السومريون.

۲- دهخدا (علىاكبر): لغتنامه - تحتَ لفظة أور.

۳- تتجّه اكثر الآراء خالياً الى أنَّ السّومريينَ جاءوا الى أرض العراق قادمينَ مِن هَضَبَةِ ايرانَ: أنظر سعيديان (نفسه)، عن موسوعة مُدُنِ العالم الكبرى؛ وانظر ويل دورانت (نفسه).

«سیپ‌پار» Sip - Par؛[1] و هذه الاَحرُفُ الثلاثة المستعملة اليَومَ، والحرفان المستعملان فی‌اللغة السومريَّة؛ (پ، گ) موجودان فی‌الفارسيَّةَ قديماًو حديثاً، ومستعملان بوفرةٍ، وكذلک كُتِبا باللاّتينيَّة (P-G) و الاّ لكتبَهما المدوِّنُ الغربیّ (B, J)، و لغة السُّومريين من اللّغاتِ «الهندو أوربيّه» كما هو شأنُ اللغة الفارسيّة.

البابليّون و الميذيّون

و هذه «أوميت» أو «آميتلين» الميذيّة، وكانت ابنة الملک الميذیِّ فی «هگمتانه» أی «همدان» الحاليَّة فی‌ايران؛ و قد تزوَّج بها «بوخُذُ نصَّر» أی بُختُ النّصر حيث نقلها الٰی «بابِلَ»[2]؛ فوجدت «أوميت» نفسها فی بيت الغُربَةِ والوحشة، و جَعَلت تبكی و تفتقد الجبالَ؛ فَبَنیٰ لها زَوجُها «الجنائن المعلَّقه» ببابلَ، و لعلَّ الملک البابلیَّ استعان - فی بناء جنائنه - بمهندسين و معمارين وبنّائين ميذيّين، وأتی بوصيفاتٍ ونديماتٍ ميذيّاتٍ لحليلته و حبيبته! فلا شکَّ أن حَمَل هوءلاء الميذيّونَ الايرانيونَ جميعاً معهم لغتهم، فی محاوراتهم، و أثروا بلغتهم و ثقافتهم فی‌المجتمع البابلیّ (السّامیّ، العَرَبیّ).

بابل الاخمينيون

و جاء دورُكورشَ الفارسیّ الذی مدَّ اليه شعبُ بابلَ يَد الاستعانة لانقاذهم مِن ملكهم الجبّارِ الظالِم الجائر «بالثازار»، فلبّی نداءَهم، ودخل بابل عن طريق مجریٰ الفراتِ، و فتح بابلَ و صافح الاله «بل مردوخ» فی ساحة المدينة، و أعادَ اليهودَ الی أرض «اورشليم»[3].

ألم يتركْ «كورشُ» و جنوده مِن لغتهم و أدبهم فی قلبِ العِراقِ آنذاکَ أثراً كبيراً، ولم يتأثروا بالبابليّين؟

و هذا قمبيزُ الفارسیُّ[4] ذهب بجيوشه الی أرض مصرَ، و فتحها، و قصصه معروفة مثل «مسرحيّة قمبيز»؛ حيث جاءَ الٰی سوريّة، و عبرها الیٰ أرضِ النّيل[5]، و ترک آثاراً

۱- مشكور (محمدجواد): ايران در عهدباستان در تاريخ اقوام و پادشاهان عن المصادر ۱۱۶، ۱۱۷، ۱۱۹، ۱۲۰، ۱۲۱.

۲- الدوری (عبدالعزيز): تاريخ الغرب؛ أمّا «أوميت» فَتُلفَظُ اليَوم «أميد» بمعنی «أَمَل و مُنیٰ» و هی ترادف «آرزو» أی الأمنية و تسمی البنات فی‌يومنا هذا بهذا الاسم أيضاً.

۳- الرّازی (عبدالله): تاريخ ايران، ۷، ۱۱.

۴- اسمه فی‌الفارسيّة «كمبوجيه».

۵- الرّازی (نفسه)، ۱۳.

لغویّه و أدبیة و ثقافیة و غیرها، کما ترک أحشویروش[۱] فی حروبه آثاراً لغویّة و ثقافیّه.

یحدِّثنا الدکتور أنیس فریحه عن اکتشاف ألواح فی کهف بمصر علیها کتاباتٌ آرامیّة تعود الی عهدِ المملکة الایرانیّة فی حکم داریوش و احشویروش، أی فی‌القرن الخامس قبل المیلاد[۲] و ذاک فی عهد السلالة الاخمینیّة.

الوفدُ الایرانیّ فی‌العهد الاشغانیّ

ولمّا ولد المسیح، عیسی‌بن مریم(ع)، جاءَ جماعةٌ من المجوس مِن ایرانِ الٰی «بیتِ لَحم» فی فلسطین، لیُقدِّسوا موضعَ ولادته، و یتشرّفوا بهذا التکریم، ویسجدوا له، و قد علموا خبرَ ولادته بالتنجیم و علم الفلک[۳]، و ذلک فی عهد السلالة الاشغانیه[۴].

الایرانیّون فی‌أرض الغساسنة

و جاء الساسانیون الی بلادِ الغساسنة، و کانت فی‌حوزة الرومان والقصة مشهورة أشار الیها القرآن الکریم: «الٓمٓ، غُلِبَت الرُّومُ فی أدنی الارض، و هُم مِن بَعد غَلَبهم سَیَغلِبُون»[۵]؛ واختلط الجنودُ الایرانیّونَ بالعرب، أخذوا عنهم ألفاظاً دعیت فیما بَعدَ عندهم بـ «هُزوارش» و معنی هذا المصطلحُ هو: «اللّفظة التی یُنطَق بلغةٍ، و تکتب بلغةٍ أُخریٰ، فمثلاً: «کانوا ینطقون» «گوشت»، و یکتبون «بُسرا» أی «اللّحم»؛ و کانوا ینطقون «نان» و یکتبون «لحما» أی «الخبز» أوالعکس؛ ولم یکتف الایرانیون بالالفاظ الآرامیّة هذه، بل اتخذوا حروف الهجاء الآرامیّة بدلاً عن أبجدیّتهم القدیمة فی کتاباتهم، لسهولة الحروف الآرامیّة، و عُسرِ الحروف المسماریّة و صلابتها، بینما بقیت الابجدیة القدیمة لغة الکتابة فی‌البلاط السّاسانی[۶].

۱- لواسانی(احمد): دائرة المعارف اللبنانیه، تحت لفظه أحشویروش.

۲- فریحه (أنیس): أحیقار، ۱۹.

۳- ابن خلدون (عبدالرحمن): التاریخ الکبیر، ۱۴۹؛ والیعقوبی: تاریخ، باب الخبر عن شأن عیسی(ع)، ۶۹/۱؛ جمیزهاکس: قاموس الکتاب المقدس تحت لفظه مجوس، نقلاً عن سَفِرمتّی ۱:۲-۱۴.

۴- المسعودیّ: مروج الذهب، ۲۵۹/۱.

۵- القرآن الکریم، سورة الروم، الآیة ۱؛ زهدی (بشیر): الامبراطور فیلیپ الغربی ۳۱.

۶- صفا (ذبیح‌الله): تاریخ الادب الفارسی؛ و تاریخ علوم و ادبیات ایرانی، ۱۰۹؛ مشکور (نفسه): فرهنگ هزوارشهای پهلوی.

و كان هذا حَدَثاً مهمّاً فى تاريخ الثقافة الايرانيّة، لانَّ اتّخاذَ الحروف الآراميّة، مَهَّدَ السَّبيلَ لاستبداله الى الحروفِ العربيّة؛ بمجىءالاسلام الىٰ ايران، اذلولا أحقّيّةُ هذا الدّين المبين، لما استجابَ الشَّعبُ الى المهاجمينَ مِن أىِّ جنس كانوا؛ ولكنَّهم لمّا اعتقدوا بصّحةِ الدّين الاسلامىّ الّذى ينادى: «لااكراه فى‌الدّين»[1]، تركوا دينَ آبائهم، و دانوا بدين‌الله - و كان فى‌طليعتهم سلمان الفارسىُّ الذى تَوَجَّه النبىُّ(ص) «بسلمان المحمّدىّ» بقوله: «سلمانُ مِنّا أهلَ بيت»، و دخلوا الاسلامَ أفواجاً: «اذا جاء نصرالله والفتحُ، و رأيتَ النّاسَ يدخلونَ فى دين‌الله أفواجاً»؛ واتَّخذوا الحروف الهجائيّة العربيّةَ القريبةَ الى الآراميّة، و هما فَرعا دوحةٍ واحدة، غير أنَّهم أُضافوا اليها حروفاً أربعةً عرفت عند العرب بالحروف الثقيله، و هى -كما أسلفنا - (پ) أى الباءُ المثلثة؛ (چ) الجيم المثلثة (ژ) الزّاىُ المثلثة، و (گ) كالجيم المصريَّة.

نعودُ الى ما كنّافِيه، والعَودُ أحمَدُ، و ترك الايرانيّون أثرهم اللّغوى هناك فى‌أرض سوريّه[2]؛ و كان سيف بن ذى يَزنَ - قُبَيلَ الاسلام - قد استعانَ بِكسرى، أنوشروان، ليساعده على طردِ الاحباش المعتدينَ المحتلّين لليمن، فاستجابَ له كِسرى بِاشَارةٍ من وزيره المَحنَّك «بزرجمهر» و أمدَّه بمحاربين، كانوا مساجين عسكريّين فى سجونه لتمرّدهم على كِسرىٰ، و أمَّرَ عليهم «وهرز»[3] و ذهبوا الى اليمن بحراً، فغَرقَ بعضهُم، و وَصَلَ آخرون؛ و حينَ نَزَلَ اليَمَنَ اَحرَقَ سُفُنَه لِيَعلَمَ جنودُهُ أن لارَجعةَ لهم. وانتَصَرَ وهرز الايرانىّ على أبرهةَ الحبشىِّ باذن‌الله تعالٰى وكانَ يدالله فوق أيدى الجيش.

و قطن الايرانيون اليَمَنَ بنُصرتهم لليمنيين، و عُرفوا ببنى الاحرار[4]، وتعلّموا العربيّة، كما أثّروا فى العربيّة لغويّاً وثقافيّاً بصورةٍ عامّة؛ فقدكان الايرانىّ - لمّا أحرَقَ سفنه - قال لاصحابه ما مضمونه: «البحرُ مِن ورائكم، و العَدُوُّ أمامَكم، فان تخاذلتم فمصيركم البحر والغرق، و ان آستعنتم بالصَّبر و الاستقامة، فلكم النَّصر والغلبة والعزّة والبقاء[5]؛ و كان طارقَ بن زيادٍ قال لجنوده مثل ذلک فى فتح الاندلس؛ و قصّة هؤلاء، و داذويه الفارسىّ فِى‌اليمن، و مناصرته للاسلام موجودة فى كتب التاريخ[6].

١- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢٥۶.

٢- التونجى (محمد): الالفاظ الفارسيّة فى عاميّت قلب.

٣- و هذه التسميّة تلفظ بهيئة «بهروز» و معناه «اليوم الجميل».

۴- المسعودىّ: مروج الذّهب فى ذكر أهلَ اليمن، ۵۶/۲؛ اليعقوبى (نفسه) ۲۰۰/۱.

۵- المسعودى (نفسه).

۶- ابن الاثير: الكامل فى‌التاريخ ۳۳۷/۱، ۳۴۰، ۳۷۴، ۳۷۷.

وَنَقَلَ ابنُ المقفَّع الاَدَبَ الفهلويَّ، و ما جاءَ فی کتابِ «کلیلةَ و دمنةَ»[۱] الی العربیّة، کما نَقَلَ مِن أدب الفُرس کُتُباً اخریٰ مثل «خدای نامه» و کتاب «کارنامک زریران»[۲]؛ و نقل غیره کتابَ «الوامِقِ والعذراء»، و قدَّمه الٰی عبدِالله بنِ طاهربن الحسینی، ذی‌الیمینین[۳]؛ و نقلَ البلعمیُّ عن تاریخ الطبریِّ[۴]، و اخَذ سالِم، مولی هِشام، أسلوبَ الکتابة من الفارسیّة، و عنه اَخذ عبدالحمید کاتبُ مروان، آخِرِ خلفاءِ بنی أمیّةَ[۵].

و کان الدّیوانُ الاسلامیُّ یُدوَّنُ باللُّغة الفارسیة حتّی زمنِ اَلحجّاج بن یوسفَ الثَقَفیِّ، الّذی أَصَرَّ علی نقله الی العربیّة، فَنُقِلَ[۶].

و کانَت جامعةَ جندی سابورَ تغَذّی الخلافةَ العباسیّةَ بأساتذتِها الاطبّاءِ، و خرّیجیها، أی أنّها کانَت قائمةً منذ العَهدِ الساسانیِّ، حتی أواسَطِ العصر العباسیِّ، والکُتُبُ زاخرةٌ بأسماءِ أطبّائها[۷].

و الیک ما أخذه سعدی الشیرازیُّ عن عمروبن معدی کَرَب[۸]الزبیدیّ (اوالزُّبیدیِّ)[۹] معنی قوله:

لیسَ الجَمالُ بمئزرٍ ... فاعلَم، و ان رُدِّیتَ بُردا
کَم مِن أخٍ لیَ صالحٍ ... بَوَّأتُهُ بِیَدَیَّ لَحدا
ما ان جَزِعتُ، ولا هلعـ... ـتُ، ولا یُرَدُّ بکایَ نَدا
ذَهَبَ الَذین اُحِبُّهم ... وَبَقیتُ مَثلَ السیف فردا

و مَضَتِ السِّنون والقرون، فجاءَ سعدَالدّین الشّیرازیُّ، فأخذ منه المعنی و قال:

۱- مشکور (محمدجواد): مجلّة الاخاء الطهرانیّه، تحت عنوان «کلیلة و دمنة»؛ یادگاری: بحوث و مقالات، ۱۱۸.
۲- دهخدا (علی‌اکبر): لغت نامه، تحت اسم «ابن المقفّع»؛ غفرانی (محمد): ابن المقفّع طبع مصر.
۳- کُردعلی (محمد): أمراءُ البیان. ۴- البَلعَمی: تاریخ البلعمی (فارسی).
۵- ابن خلّکان: وفیات الاعیان ۲۲۸/۳؛ العسکری (أبوهلال): الصناعتین ۵۱؛ کَحّالة (عمررضا): معجم المؤلّفین ۱۰۶/۵.
۶- ابن الندیم: الفهرست، فی أخبار العلماء الطّبیعیّین؛ محمد (محمّد) مجلّة الاخاءُ عن نقل یادگاری.
۷- ابن ابی أُصیبعة: طبقاتُ الاطبّاء، القفطیّ: اخبارُ العلماء بأخبار الحکماء؛ محمدی (نفسه): مجلّة الاخاء تحت عنوان جامعة جندی ساپور، عن نقل یادگاری؛ یاگاری: بحوث و مقالات ۳۳-۶۱.
۸- شاعرٌ عربیٌّ مُخَضرمٌ، وُلِدَ فی الجاهلیّة و أدرَکَ الاسلام، وهذا مِن شعره الحکمیّ.
۹- زبیده بلدةٌ فی الیمن، و زُبَید عشیرة فیها، فکلاهما صحیحان فی‌النطق والاستعمال.

نشان آدمیّت

تَن آدمی شریف است به جان آدمیّت
نه همین لباس زیباست نشان آدمیّت
اگر آدمی به چشم است و دهان و گوش و بینی
چه میان نقش دیوار و میان آدمیّت؟
خور و خواب و خشم و شهوت، شغب است و جهل و ظلمت
حَیَوان خَبر ندارد ز جهان آدمیّت
به حقیقت آدمی باش، وگرنه مُرغ باشد
که همی سخن بگوید به زبان آدمیّت
مگر آدمی نبودی که اسیر دیو ماندی؟
که فرشته ره ندارد به مکان آدمیّت
اگر این درنده خویی ز طبیعتت بمیرد
همه عمر زنده باشی به روان آدمیّت
رَسَد آدمی به جایی که به جز خدا نبیند
بنگر که تا چه حدّاست مکان آدمیّت
طَیَران مُرغ دیدی تو ز پای بَندِ شهوت
به درآی تا به بینی طَیَران آدمیّت
نه بیانِ فضل کردم، که نصیحت تو گفتم
هم از آدمی شنیدیم بیانِ آدمیّت

سعدی[1]

لم يأخذ الايرانيّون من اللُّغة العربيّة فقط، بَل أعطَوا كثيراً، فكتابُ المعرَّبِ لابی منصور الجواليقیّ يَحفُلُ بالمعرّبات[2]، و مِن بَينها الالفاظ الفارسيّة المعرّبة؛ وكتابُ ادّی شير[3] الذی كمّل حلقة المعرّبات، وكتاب العربيّة ليوهان فِك مملوءٌ بالكلمات المولّدة والدَّخيلة، واكثَرُها ألفاظٌ فارسيّه فی شتّی المجالات[4]

۱- انظر كتاب «كليّات سعدی».
۲- الجواليقی (ابومنصور): المعرّبُ من الكلام الاعجميّ.
۳- ادّی شير: تفسير الالفاظ الفارسيّة المعرّبة.
۴- يوهان فك: العربيّة ترجمة الدكتور عبدالحليم النجّار.

و کم قامَ العلماءُ والادباءُ والمثقّفونَ المصریّونَ بترجمةِ الکُتُبِ الفارسیّةَ نثراً و شِعراً؛ وکذلک السُّوریّون، وغیرُهم؛ مِمّا یَدُلُّ علی رغبةِ الشعوبِ العربیّه فی توثیقِ أواصرِ الثقافة بینها و بین الشعبِ الایرانیّ، و تمتینَ العلاقات بین شعوبِ الامَّةِ الاسلامیّة.

فترجمةُ کتاب «گلستان سعدی»[۱]؛ و «ملحمة شاهنامه الفردوسیّ»[۲]، و کتاب «مرزبان‌نامه» والقصص الفارسیّه و أساطیرها[۳] من جهةٍ.

و فی مجالِ التاریخ، نقل الدکتور یحیی الخشاب المصریّ بالتعاون مع الاستاذ صادق نشأتِ الایرانی، نقلا کتابَ «تاریخ البیهقی» بِرُمَّته من الفارسیّة الی العربیّة[۴] فکان عملاً أدبیّا رائعاً جلب انتباهَ کِبار الادباء، و مِنهم الدکتور طه حسین الّذی مدح عملهم[۵].

و کانت القاهرة - فی فترةٍ مِن الفتراتِ، أیّامَ السیِّدِ جمال الدّینِ الاسد آبادی[۶] و ما بعدها مرکزاً لنشر الثقافة الفارسیّة، و مرکزاً دعائیّاً لصالِح الشعب الایرانیّ[۷].

و فی مجالِ اللّغة والادب، دوَّن المصریّون والسوریّون قواميسَ فارسیّه - عربیّه طبعت مراراً[۸] و فی التصوّف والعرفان[۹] والفلسفه والاخلاق وحیاة الشعراء[۱۰]، والنقلة والمترجمین[۱۱] والحکم والنصائح[۱۲] والثقافة والحضارة[۱۳] والبحوث والتقصّیات[۱۴] کتبوا کثیراً.

و هذا التأثیر والتأثُّر هوالذی خَلَقَ الافکار، وأنتج الکتب، فَزَوَّد المکتبات وَ سدَّ بعضَ فراغِها، مَعَ أنّنا لانَلمَسُ ذلک التشجیع الذی یجب أن یکونَ للتألیف، ولاذلک التقدیر

۱- الفراتی(محمد): روضةالورد.
۲- عزّام (عبدالوهّاب): الشاهنامه لابی القاسم الفردوسیّ.
۳- بدوی (عبدالمجید): مجلّة الاخاء الطهرانیّه الصادرة عن دار اطلاعات.
۴- الخشّاب و نشأت: تاریخ البیهقی (أبی الفضل)، طبع مصر.
۵- انظر مجلة الاخا الطهرانیّه نقلاً عن الصحف المصریّه.
۶- أسد آباد قریة فی افغانستان و کذلک قریة قرب همدان فی ایران.
۷- انظر جرائدَ و مجلاّت العهدِ القاجاریّ فی‌ایران.
۸- التونجی (محمد): المعجم الذهبی، حسنین (عبدالنعیم محمّد): قاموس الفارسیّه.
۹- بدوی (عبدالمجید): مجلّة الاخاء الطهرانیّه تحت عنوان منطق الطیر الشیخ العطّار.
۱۰- الفراتی (محمد): البستان عن «بوستان سعدی» طبع وزارة الثقافة الارشادِ القومی بدمشق.
۱۱- محمّدی (محمّد): دورالنقلة والمترجمین.
۱۲- انظر احسان عباس: عهد أردشیر.
۱۳- یادگاری (عبدالمهدی): انتقال العلوم الاسلامیّة من بغداد الی خراسان فی‌القرون الاسلامیّة الاولی. أنظر مجلّة «مقالات و بررسیها» الصادرة عن کلیّة الالهیّات والمعارف الاسلامیة فی‌طهران.
۱۴- یادگاری (نفسه): دراسة حدیثة فی‌الویهات الملحقة بالاسماء الفارسیّة والعربیّة. أنظر: مجلّة مجمع اللغة العربیّة بدمشق.

الذى يستحقّه المؤلفّون، وكلُّ ما أُلِّفَ لصالح البشريّة انّما هو نابع عن صميم القلبِ و نتيجة الرّغبة فى العلم ليس إلاّ، و إلاّ فما الذى حدا بالعربَ أن يكتُبوا فى تُراثِ الفُرس، و بالايرانيين أن يكتبوا فى تراث العرب؟

أجَل! لقد كتب كثيرٌ من العرب فى الخيّام عن حياته و شعره، و منهم أحمد حامد الصرّاف العراقىّ[1]؛ ولم يكن الخيّام شاعراً و حسب؛ بل كان عالماً فى الفلك والنجوم وبعض العلوم الاخرى.

و كتبوا فى الشاعر نظامى الگنجوى[2]؛ و بابا طاعر عريان - الشاعر الهمدانىّ[3]؛ و عبدالرّحمن الجامىّ[4]؛ و جلال الدّين الرّومى[5]؛ و حافظ الشيرازى[6]؛ و فريدالدين العطّار النيشابورى[7].

صحيح أنَّ الترجمة كانَت جاريَةً يُعمَل بها فى ايران منذ العصور السابقه للاسلام، لما نجد اللّغة العيلاميّة الى جانب لغة الفرس القديمة؛ وكذلک اللغة الآشوريّه الى جانب اللغة السومريّه[8]؛ لكنّ الدّينَ الاسلامىّ كان أعظمَ باعث لِرَبط الشعوب المسلمة، و بمثابة حَلقة وصل لجمع الثقافات من أنحاء العالم لاجتماع سلمان الفارسىّ و بلال الحبشى، و صُهَيب الرومىّ، و ماريّة القبطيّة فى مجتمع واحدٍ مع العرب؛ و هم بحاجةٍ الى التفاهم، ممّا ادّى الى كُرهِ العصبيّاتِ و نبذِها، والميلِ الى الحبِّ تجاهَ الجلالِ الانسانىّ، والجمال الفكرىّ والتربية الصحيحة؛ فمن الكمال التربوىّ أن يَرىٰ الانسانُ - مِن زاوية الانسانيّةَ - جميع الناس اخوانه؛ و اذا سارَ على هذَه الخطّة القويمة، الايحتاج الانسانُ الى أن يعرفَ أخاه؟ وكيفَ يعرفه اذا لم يعرف لُغَتَه؟ وكيفَ يتفاهُم معه؟ وكيف يُقيّمه؟ أو كيف يَعرف عدوّه؟ و يطّلعُ على نواياه و خُططِه وَ مكرِه و حيلته و مكيدته؟ و عَن الرسول الاعظم(ص): «من تعلَّمَ لسانَ قومٍ اَمِنَ شَرَّهم» طبعاً اذا كانوا من الاشرار، و أفادَ مِن خَيرِهم، اذا كانَ فيهم خَيِّرٌ وكانوا من الاخيار.

و قد نُسِبَ الى الامام علىٍّ عليه‌السلامُ قولُهُ، يَحُثُّنا على تَعَلُّم اللغاتِ، واللُّغَةُ نافذةٌ الى العلوم والآدابِ، فيقول:

١- الصّراف (أحمد حامد): عمرالخيّام.
٢- حسنين (عبدالنعيم محمد): نظامى الگنجوى، شاعر الفضيلة.
٣- انظر مجلّة الاخاء الطهرانيّة.
٤- الطّرازى (نصرالله مبشّر): نورالدّين عبدالرّحمنِ الجامى.
٥- انظر مجلّة الاخاءُ الطهرانيّة.
٦- الفراتى (محمد): البستان.
٧- انظر مجلّة الدخاء الطهرانيّة.
٨- انظر مجلّة «روزگار نو» الامريكيّة باللّغة الفارسيّة.

بقدر لغاتِ المرءِ يَكثر نفعه — و تلكَ له عند الشّدائدِ أعوانُ
فبادِر الى حفظ اللغاتِ مسارعاً — فَكلُّ لسانٍ فى‌الحقيقة انسانُ[۱]

حَتّى اذا لَزِمَ الامرُ ان يَرحَلَ الانسانُ الىٰ مسافاتٍ بعيدةٍ، و يَتَغَرَّبَ عن بلده، فيقول علىٌّ فى هذا المجالِ أيضاً:

تغرَّب عن الاوطانِ فى طَلَبِ العُلىٰ — و سافِر ففى الاسفارِ خَمسُ فوائدِ
تَفَرُّجُ همّ، واكتسابُ مَعيشة، — و عِلمٌ، و آدابٌ و صحبةُ ماجدِ
فإن قيلَ فى‌الاسفارِ ذُلٌّ و محنةٌ — و قَطعُ الفيافى وارتكابُ الشَّدائدِ
فَمَوتُ الفتى خيرٌ له مِن بقائه — بدارِ هوانٍ بين واشٍ و حاسِدِ[۲]

و اذا ما تعلَّمَ انسانٌ لغةً مّا، يَستطيعُ أن يَدرُسَ ثقافةَ أصحابِ تلك اللُّغَةِ بجدٍّ واجتهادٍ، حتّى يَفتقَ أكمامها و يبلغَ ذُروَتَها.

واللّغةُ الفارسيّة لغةٌ حيَّةٌ نابضةٌ، يتكلّمُ بها شعبٌ كامِلٌ يضمّ سِتّينَ مليوناً واكثرَ فى‌ايرانَ، و يَعرفُها أكثرُ مِن مائتى مليونِ انسانٍ فى افغانستان والهند والپاكستان، والدّولِ المستقلّةِ المَنفصلةِ عن الاتّحاد السُّوفياتى السابق؛ و مفرداتُ هذه اللغة وافرةٌ فى‌اللّغاتِ الاورديَّة والتركيّة والكرديّة ... فبلغ مجموعُ مَن يَعرفها مائتين و خمسين مليوناً؛ و اذن فهى جديرة بالاهتمام ثقافيّاً و حضاريّاً و اقليميّاً و عالميّاً.

كما أنَّ اللغة العربيّة يعرفها ميليار و ثلاثمائةِ ميلونِ انسانٍ على وجه البسيطة: بسبب الاسلام و تمسُّكِهِم بدين‌الله القويم؛ وهذه اللغةُ تُدَرَّسُ فى مدارسِ ايران مَنذ السَّنة الاولى من المَرحَلة المتوسطة، و هذا مدوَّنٌ فى‌الدُّستور الايرانىّ. والكُتُبُ العربيّة كثيرة الانتشار فى‌ايران، والمساعَداتُ النقديَّةُ تُبذَلُ لشَراء الكتب من الخارج فى‌معرضِ الكتابِ الدُّوَلِيِّ فى‌طهرانَ، و رواتِبُ الاساتذةِ الجامعيّينَ قد تَحَسَّنت مِن ذى قبل.

والاهتمامُ بنشرِ اللُّغةِ الفارسيّة و تعليمها لِمَن شاءَ وَ رَغبَ قد بدأ، ولكن يجب أن يزداد هذا الاهتمامُ بها مِن جميع النّواحى، كماتمَّ افتتاح مِنبرٍ و قسمٍ خاصّ باللغة الفارسيّةِ بجامعة دمشق، و قد زرتُ صَفوفها، واتَّصلتُ بأساتذتها، و كان الدكتور محمد التونجى يدرّس بدمشق و حلب.

أمّا فى مصر، فتعليمُ اللغةِ الفارسيّة فى بعض جامعاتها، طويل العهد، و قرأت فى‌بعض

۱- الدّيوان المنسوبُ الى الامام علىّ(ع) قافية النون.
۲- (نفسه) قافية الدّال.

التقارير أنَّ عددَ الطلاّب الذين يدرسون الفارسيّة فی‌مصر فی‌تلک السنة، بلغ خمسة آلاف طالبٍ[1].

وأخذت بعضُ المستشاريّات الثقافيّة الايرانيّةُ و ملحقيّاتها التّابعة للجمهورية الاسلاميّة الايرانيّةَ على عاتقها فتح صفوفٍ خاصّةٍ بتعليم اللُّغَةِ الفارسيّة؛ وفعلاً حَدَثَ هذا فی‌الجمهوريّةِ العربيّة السوريّة الشقيقة فَفَتَحَت صفوفاً فی‌دمشق و بيروت عداما فی‌الجامعات، يتزايد الاقبالُ علَيها.

و نأملُ أَن يَتِمَّ و تُنجَز هذه المشاريعُ الثقافيّةُ فی‌أسرع الاوقات، فيجب أن لاتنسى أنَّ الثّقافةَ هی الباقية، و غيرها قد يتزحزح عن مكانه و يزول، فقد رأينا زوالَ مدينةِ اسپارطة فی اليونان، و هی بلدُ الكلادياتورات، بينما بقيت اتينا، و هی بلدُ المعقول والادمغة و سقراطَ وَ أرسطو... ماثلةً؛ وزالت الامبراطورية الساسانيّة، بينما بَقيت جامعة جندی سابور قائمةً تغذّی الحضارة الاسلاميّة حتى القرن الرابع الهجری باساتذتها و أطبّائها[2]؛ و تهدّمت قصور ألف ليلةٍ و ليلةٍ فی‌بغدادَ، و بقيت آثارُ دارِ العلم أوبيتِ الحكمة؛ والكُتُبُ التی كانت فيها وأسماءُ مؤلفيها و مترجميها والقائمينَ عليها؛ وزالتِ الاوثان، و بَقِیَ الله، و كتابُهُ، و رسولُهُ و كلمةُالله هی العليا.

و ربّما تَزولُ آثار الحضارة والمدنيّة لانَّ آثارها حسيَّةٌ عينيّةٌ مرئيّةٌ مَلموسَةٌ ولكن تَبقَى آثارُ الثقافةِ لانها معنويةٌ تُحفَظُ فی‌الادمغةِ والقلوبِ والصُّدورِ، ولانّها تُنَقلُ جيلاً بَعدَ جيلٍ فيجبُ الاهتمامُ بجميع الثقافاتِ، واللغة أصلُ كُلِّ ثقافةٍ و أصولُها؛ واللُّغَةُ الفارسيّةُ لغةٌ حيَّةٌ كانت و تفاعَلَت مع اللغةِ العربيّةِ، و لم تزل ولم تَفقِد نفوذَها و أهميّتها بَل بَقِيَت نشيطةً فَعّالةً بذكاءِ أبنائها، و فيها من التُّراثِ الانسانیِّ ما يَجعَلُها تَبقى الى الابدُ و تسألنی عن العوائد المادّيّة الملموسة من تعلّم اللّغة الفارسية، فأقول: اكتساب المال والمنال بالقيام كمترجم للكتب والمدوَّنات العلميّة والادبيّه و كترجمان فی‌دورالآثار والمبانی الاثريّة، و «المتاحف والمصايف والفنادق، أوفی دار الازاعة والتلفزيون والافلام السّينمائيّه والمسلسلات التلفزيونيه و فی مديريّه السّياحة والاصطياف، والاسفار والرّحلات والزيارات؛ و فی وزارة الخارجيّة والتمثيل الدبلوماسیّ والممثليّات والمستشاريات والملحقيات؛ و فی مكاتب الصحافة والجرائد والمجلاّت والاتّصال بالشخصيّات والوفود

۱- مجلّةُ الاخاء الطّهرانيّة، العدد ۴۹۶.

۲- أبن أبی أصيبعة: طبقاتُ الاطبّاء.

الوافدة؛ و فی‌المحاکم ودور الترجمة والبنوک والمکاتب العقاریّه والجمارک و مکاتب السَّفر والمصایف وشرکات النقل والمکاتب التجاریة و محطّات الغاز والبنزین؛ و فی کلِّ مجالات الحیاة والمعیشة والمجتمع، فقد یتسنّی لمثل هذا الانسان الثنائی اللغة أن ینقذَ متَّهماً من السِّجن والاعتقال، أوالقتل والهلاک شأنه شأن المحامی و رجل القانون...

نعم یا أخی، لقد سمعنا - و ایّاک - مقال علیٍّ(ع) الذی کان یَحُثُّنا علی أمر عظیم، فی تعلُّم اللغات للوصول الی مشارف الفهم وبلوغ الکمال، والی سلَّمِ العلمِ و مفتاح العلوم والآداب، و هما ما قاله الشاعر:

بُنیَّ اجتَهِد فی اقتناء العلوم — تفُز باجتناء ثمارِ المُنیٰ
ألم تَرَ فی رُقعَةٍ بَیذَقاً — اذا جَدَّ فی سیرهِ فَرزنا؟!

و نقل الدکتور أحمد امین عن الصّاحبی لابنِ جنّی، عن لسانِ امیر ظفاری: «مَن جاءَ الی ظفارَ، فلیتحمَّر»[1]، أی مَن قَصَدَنا، و قَصد ارضَنا، فلیتَعلَّم اللغة الحمریّة بادیء ذی بَدءٍ.

و قبلَ أن أُنهیَ کلامی، أُلقِی الی أسماعکم نُمُوذَجاً شعریّاً من التَّفاعُل الثقافیّ بینَ الادبینِ الفارسیِّ والعربیّ؛ فقد نَظمَ حافظُ الشیرازیُّ أبیاتاً عِرفانیّة، نقلها الی العربیّة الشاعر السُّوریُّ، محمّدٌ الفراتیُّ، و الیکَ نظمها:

- قال حافظُ شیراز:

۱- یوسف گم گشته باز آید به کنعان غم مَخور
کُلبهٔ أحزان شود روزی گلستان غَم مَخور

- فقال الاستاذ محمّدٌ الفراتیّ:

- یُوسُفُ المفقودُ فی أوطانِه، لاتَحزَنَن
عائدٌ یوماً الیٰ کنعانه، لاتَحزَنَن

- بیتُ الأحزانِ تَراهُ عَن قریبٍ رَوضةً
یَضحَکُ الوردُ عَلٰی بُنیانِه، لاتَحزَنَن

۲- گر بهار عمر باشد باز بر طرف چمن
چترگل بر سر کشی ای مرغ خوشخوان غم مخور

۱- أحمد أمین: فجرالاسلام.

- أيُّها البُلبُل تَغدُو في ربيع ثانياً
تستَظلُّ الوَردَ في أغصانِه، لاتَحزَنَن

۳- دورِ گردون گر دو روزی بر مراد ما نرفت
دائماً یکسان نباشد حالِ دوران، غم مَخور

- هذه الافلاکُ ان دارَت علی غیر المنیٰ
لایَدومُ الدَّهرُ فی حَد ثانِه، لاتَحزَنَن

۴- هان، مَشو نومید چون واقف نئی از سرّ غیب
باشد اندر پرده بازیهای پِنهان، غم مخور

- لست تدری الغَیبَ فی‌اسراره، لاتَیأسن
کَم وَراءَ السِّترِ مِن أفنانه، لاتَحزَنَن

۵- أی دل ار سیل فنا بنیاد هستی بَرکَند
چون تو را نوح است کشتیبان ز طوفان، غم مخور

- یا فؤادی، ان یَسِل بالکَونِ طوفانُ الفَنا
فُلک نوحٍ لکَ فی طوفانِه، لاتَحزَنَن

۶- گرچه منزل بَس خطرناک است و مقصد بس بعید
هیچ راهی نیست، کآن را نیست پایان، غم‌مخور

- منزِلٌ جِدٌّ مخوفٌ و مِرادٌ شاحطٌ
کم یَدُم فجٌّ علیٰ رُکبانِه، لاتَحزَنَن

۷- حافظا در کنج فقرُ و خلوتِ شبهایِ تار
تا بُوَد وردَت دُعا و دَرس و قرآن، غم‌مخور

- حافظُ ما دُمتَ بالفقر دلیلٌ مُظلِمٌ
فی دعاءالله أو قرآنه، لاتَحزَنَن